ذكر اعتراض أحمد شلبي على صحة بعض الأحداث المهمَّة التي جرت في سيرة النبي ﷺ والرد عليها

إعداد الباحث/

أحمد عبد الحي محمد علي

الباحث بمعهد الدراسات الأفروآسيوية للدراسات العليا–جامعة قناة السويس

تخصص (الماجستير) في الدراسات الأفروآسيوية

تحت إشراف/

أ.م.د/ تامر سعد الزاوي

أستاذ علم اللغة المساعد

كلية الآداب – جامعة قناة السويس

(مشرفًا رئيسًا)

أ–د/عبد المنعم صبحي أبو شعيشع

الأستاذ المتفرغ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين–جامعة الأزهر–فرع طنطا

(مشرفًا مشاركًا)

ملخص البحث

تروم هذه الدراسة إلى استكشاف "ذكر اعتراض أحمد شلبي على صحة بعض الأحداث المهمَّة التي جرت في سيرة النبي ﷺ والرد عليها"

وقد بدأ الباحث دراسته بالتعرف على شروط المؤرخ إذا كانت عنده ملكة الكتابة في السيرة النبوية، ثم انتقل إلى التعرف على منهج أحمد شلبي في كتابة السيرة النيرة النبوية وذلك من خلال كتابه موسوعة التاريخ الإسلامي في جانب السيرة منه، ثم ذكر بعض الاعتراضات من أحمد شلبي على كثير من أحداث السيرة النبوية.

واختتم الباحث دراسته بالتعرف على أهم النتائج التي استنتجها خلال بحثه، ويأمل الباحث من خلال هذه الدراسة التفصيلية أن يكون قد أوفى بدراسة ونقد الافتراءات في بعض كتابات أحمد شلبي، وأن يكون قد أحاط بالموضوع من كل جوانبه

بشكل موضوعي، وأعطى فكرة واضحة عن الموضوع، وأن تكون هذه الدراسة بداية لدراسات لاحقة.

Research Summary

This study aims to explore the thought of Ahmad Shalaby's objection to the authenticity of some of the important events that took place in Biography of the Prophet and the response to it

The researcher began his study by recognizing the conditions of the historian if he had the ability to write in the biography of the Prophet، and then moved on to identifying Ahmed Shalaby's method in writing the Prophet's illustrious biography through his book Encyclopedia of Islamic History in the aspect of the biography of it، then he mentioned some objections from Ahmed Shalaby to Many of the events of the Prophet's biography.

The researcher concluded his study by identifying the most important results that he deduced during his research. The researcher hopes، through this detailed study، that he has fulfilled the study and criticism of fabrications in some of Ahmed Shalaby's writings، and that he has surrounded the subject in all its aspects in an objective manner، and has given a clear idea of the subject، and that This study will be the beginning of subsequent studies.

مقدمة

إن الحمد لله تعالى نحمده، ونستعين به، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خير خلقه وخليله، وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن تلقي العلم وتطويره والنهوض به يعتبر من أولى أولويات الأمم، والدول التي تسعى إلى التقدم، وتحرص على سلامة، وراحة مواطنيها، وعلى تقديم أجود الخدمات لهم، غير أنّ الواقع العملي يشير إلى أنّ العلم سلاح ذو حدين، فلابد على العالم أن يلتزم بالقيم الأخلاقيّة، للوصول على الدوام للاستفادة منه.

وعلى الرغم من أن أحمد شلبي كان متبحرًا في علوم كثيرة. إلا أن هذا لا يمنع من سقوطه في بعض الانحرافات العلمية، في حين أنه يعد من أبرز المؤرخين في العصر الحديث، وكذلك يعد واحدًا من أكثر أساتذة التاريخ الإسلامي الأكاديميين اهتمامًا بدراسة الحضارة الإسلامية وعطائها الحضاري، وقد رزق قدرة فائقة على استقراء التاريخ الإسلامي واستحضاره وتبويبه وإعادة كتابته بأسلوب عصري، لكن هذه الدراسة جاءت لنقد بعض هذه الانحرافات التي صدرت منه خلال كتاباته في علوم الدين، فجاءت تحت عنوان: **ذكر اعتراض أحمد شلبي على صحة بعض الأحداث المهمَّة التي جرت في سيرة النبي ﷺ ، والرد عليها.**

من الحقائق الثابتة أن هناك عددًا من المؤرخين المعاصرين ساهموا في كتابة السيرة النبوية، عكس المؤرخين الأقدمين الذين قاموا بكتابة السيرة النبوية في صورة كتاب مستقل، أو جزء من التاريخ العام، وهذا هو الأمر الذي تعارف عليه الباحثين في مجال السيرة النبوية خاصة عند الواقفين على مؤلفات المؤرخين.

ولقد اعتنى الكتَّاب الكثيرون بكتابة السيرة النبوية من الخطباء، والأدباء، وأصحاب الثقافة والفكر، ولكن لا يعد أحدهم من جماعة المؤرخين المعروفين.

والمتأمل يجد أن أفضل المناهج في كتابة السيرة منهج المحدثين: "هو الالتزام بأصول وقواعد حديثية في تأليف السيرة النبوية، ويظهر تحليل الوقائع في كتب المحدثين الذين قاموا بالتزام أصول الرواية وقواعدها وتمييز الأسانيد عن بعضها، وكلَّما حتَّموا الرواية الواحدة، فقاموا بتخريج بعضها في مكان واحد والأخرى في مكان آخر وفقًا لعناوين كتاباتهم، كما يظهر واضحًا في قسم المغازي للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ضمن صحيحه"(١).

"ومن المحدثين من قاموا بالتزام الصحة في رواياته وأحاديثه كالإمامين البخاري ومسلم، وغيرهما، وهناك آخرون أسندوا الأحاديث، ولم يقوموا بالتزام الصحة وهم السواد الأعظم من بين المحدثين والمؤرخين"(٢).

"وهذا المنهج أعمُّ وأشمل من أن يكون متعلِّقًا بأحاديث الرسول ﷺ ، بل هو منهج لسائر الأقوال والأفعال، لها خطرها وأهميتها في معاش المسلمين"(٣).

"والفرق بين كتب الحديث، وكتب السيرة يتمثل في كون كتب السيرة تسوق روايات كثيرة بأسانيد مرسلة ومنقطعة، ووجود هذه الروايات في كتب الحديث متصلة ومسندة، مما يوثق معلومات كتب السيرة النبوية المطهرة"(٤).

"ومن الصعب تطبيق منهج النقد بكل معاييره على مجموع أخبار السيرة، بل ويشترط العلماء في راوي السيرة، أو المؤرخ أربعة أمور:

١- العقل.
٢- الضبط.
٣- الإسلام.
٤- العدالة، وهي نفس ما اشترطوه في راوي الحديث"(٥).

وقد انقسم المؤرخون إلى طائفتين، لكل طائفة منهما منهج في كتابة السيرة النبوية المطهرة، ويظهر ذلك في ترتيب كتاباتهم.

الطائفة الأولى: اتبعت الترتيب الموضوعي مع مراعاة التنظيم الزمني في سوق الموضوعات سواء في تواريخ الأقوام السابقة، أو في التاريخ الإسلامي.

الطائفة الثانية: اتخذت الترتيب الموضوعي في تاريخ عصر الجاهلية، أي ما قبل البعثة النبوية، لعدم وجود تاريخ زمني ثابت متواصل، ولكنها إذا جاءت للتاريخ الإسلامي رتَّبت وقائعه وفقًا للأعوام الهجرية، وهو المشهور بالتاريخ الحولي؛ حيث يذكر وقائع كل عام هجري على حدة، ثم الذي يليها وهكذا، منظمة على التسلسل الزمني دون الخوض في التسلسل الموضوعي.

وقد صار لكل منهج عدد من أصحاب التاريخ الإسلامي. فمن الذين اتخذوا منهج التنظيم الموضوعي: "أبو حنيفة الدينوري"(٦)، والذي يعد من أهم المؤرخين الذين تناولوا السيرة من خلال دراسته تدريجيًا، "ومن الذين اتخذوا المنهج الحولي: "خليفة بن خياط"(٧)، "ومحمد بن جرير الطبري"(٨)، وغيرهما"(٩).

ولذلك فإن كتابة البحث وإعداد المقال عن مجهودات المؤرخين المعاصرين في مجال خدمة السيرة النبوية ليست سهلًا، لأن هناك عددًا قليلًا جدًّا للمؤرخين الذين كتبوا في السيرة النبوية المطهرة.

ويعد أحمد شلبي من أكثر المؤرخين الذين كتبوا في السيرة النبوية المطهرة، في العصر الحديث، وهذا واضح من خلال مؤلفاته الضخام، وعلى الرغم من كثرة هذه الكتابات إلا أنه حاد كثيرًا عن منهج أهل السنة والجماعة في بعض الأحداث والظروف التي مر بها رسول الله ﷺ ، وفي هذا المطلب نقف مع بعض ما كتبه أحمد شلبي في سيرة النبي ﷺ ، ونحاول عرض ما كتبه على الأدلة الصحيحة الصريحة، منتقدين هذه الآراء الشاذة التي يصدرها أحمد شلبي خلال كتاباته، وقبل أن نتحدث عن منهج أحمد شلبي في كتابة السيرة النبوية العطرة، ينبغي لنا أن نذكر شيئًا عن أعمال أحمد شلبي في السيرة النبوية:

فقد كان الدكتور أحمد شلبي من الباحثين المجتهدين، وأصحاب الأعمال الجيدة والكتابات الموفَّقة في بعض الأحيان، والكثير استفاد منه في بعض كتبه إلا أن معظم كلامه في السيرة يحتاج إلى الميزان الشرعي الصحيح، لأنه قام بالاعتراض على بعض الأحاديث في الصحيحين، وغيرهما، ويرى أنها أحاديث ضعيفة، أو موضوعة! والاعتراض على صحة بعض الأحداث المهمَّة التي جرت في سيرة الرسول الأعظم ﷺ النبوية، وإنكارها لمخالفتها للعقل حسب

رأيه، بل اتهم بعض أصحاب الرسول ﷺ حتى كبارهم أجمعين باتهامات عجيبة، وقد ذكرنا ذلك آنفًا في موضعه، مع الرد على كل هذه الادعاءات.

ولن نستطيع الوقوف مع كل ما أورده أحمد شلبي في هذا المطلب، لكن يكفي لنا إيراد بعض ما صنعه في مقدمة كتابه موسوعة التاريخ الإسلامي فيما يخص السيرة النبوية المطهرة، وهي كالتالي:

أولًا: إكثاره في النقل من مؤلفات التاريخ:

وأما ما يتعلق بكتب الأحاديث الشريفة والصحاح المنيفة فقد ذكر أحمد شلبي أنه أكثر من النقل من مؤلفات التاريخ، فقال: "وأكثرت النقل تيسيرًا للفهم"(١٠).

لم يتشدد المؤرخون وأصحاب السير في مروياتهم في استعمال أساليب المحدثين، وتساهلوا في النقل، مما أدى إلى دخول كثير من الروايات المرسلة، والمنقطعة، والشاذة، والمنكرة، بل الموضوعة المختلقة في كتبهم.

وتعود أسباب ضعف كثير من روايتهم إلى أمور عديدة، منها:

١- **عدم ذكر الأسانيد:** وهذا من أكثر ما أُخذ عليهم من طرف مخالفيهم، الذين صمتوا عن نقد الوقائع الواردة دون إسناد، لأن سقوط السند يغني عن الكلام فيما سواه من حقائق المتن. ويعتذر المؤرخون عن إيراد الأسانيد بالاختصار، والهروب من الإطالة، كما يقولون بأن الوقائع التي رووها دون إسناد هي مما اشتهر، وذاع عند الخاص والعام، وله ما يشهد له في الصحيح. وغيره. وإسقاط الإسناد ليس شيئًا ابتدعه المؤرخون، وأصحاب السير، فنحن نجد الزهري يستعمل الإسناد أحيانًا، وأحيانًا يسوق الخبر بأُسلوبه الخاص، دون اعتماد على الأسانيد، وعندما جاء بعض المؤرخين وجدوا ترك الإسناد قاعدة مقررة في بعض الأخبار؛ فتجاوزوا هذه الأسانيد في كثير من الوقائع التي أوردوها"(١١).

٢- **الجمع بين الروايات في سياق واحد:** "وهذا العمل معيب عند المحدثين، لاختلاط كلام الضعفاء والثقات ببعضه، وصعوبة تخليصه"(١٢).

وقد روي أن الإمام أحمد بن حنبل ذكر محمد ابن إسحاق فقال: كان رجلًا يشتهي الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه"(١٣).

وهذا المسلك سلكه أحمد شلبي كثيرًا في كتاباته، فكانت نتيجة الإكثار من النقل من الأحداث التاريخية مكان الأحاديث الصحيحة، هو إيراد قدر غير قليل من الأحداث الضعيفة والموضوعة.

ثانيا: الاختصار المخل في عرضه بعض الأحداث:

ويتضح ذلك في عدم ذكره أهم الحوادث التي حدثت عندما بقي الرسول ﷺ في بيت "حليمة السعدية"(١٤)، كحادث شق الصدر: "فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍرضى الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ قَلْبَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَاسْتَقْبَلُوهُ مُنْتَقِعَ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: قَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ ﷺ "(١٥).

قال أبو حاتم: "شُقَّ صَدْرُ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ صَبِيٌّ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، وَأُخْرِجَ مِنْهُ الْعَلَقَةُ، وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا الْإِسْرَاءَ بِهِ أَمَرَ جِبْرِيلَ بِشَقِّ صَدْرِهِ ثَانِيًا، وَأَخْرَجَ قَلْبَهُ فَغَسَلَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ مَرَّتَيْنِ فِي مَوْضِعَيْنِ، وَهُمَا غَيْرُ مُتَضَادَّيْنِ"(١٦).

لكن المتأمل في كلام أحمد شلبي يجد أنه يذكر الكلام على الهامش ولا يعطي للأحداث حقها من النقل التام، ففي حادثة شق الصدر لرسول الله ﷺ ، نجده قد أكتفي بالكلام التالي:

"ثم حدثت أحداث غير عادية فيها يمن وبركة للرسول خلال إقامته في بني سعد، مما جعل حليمة تخاف عليه فردته إلى أهله، إشفاقًا منها عليه"(١٧).

فهل كان هناك حاجة لمثل هذا الإيجاز الشديد، أو أنه جاء بهذا العرض حسب طريقة المستشرقين في إخفاء تلك الحوادث. والله أعلم بالصواب والحقيقة.

ثالثا: الفهم الخاطئ من أحمد شلبي بأن حياة الرسول ﷺ كانت عبارة عن حروب متصلة:

لقد ذكر أحمد شلبي هذا في السيرة، وزاد عليه أن الإسلام كان دين دماء، وهذا هو خلاف الواقع والحقيقة، ثم ذهابه إلى توجيه غير عقلي لفهمه المذكور.

ويمكن القول: أن هذا الادعاء من الأباطيل التي يرددها المستشرقين في أن حياة الرسول ﷺ ، دائمًا لا تخلو من الحروب، وأن هذا الدين قام على السيف، وأنه لم يدخل فيه معتنقوه بطريق الطواعية والاختيار، وإنما دخلوا فيه، بالقهر والإكراه، وقد اتخذوا من تشريع الجهاد في الإسلام وسيلة لهذا التجني الكاذب الآثم، وشتان ما بين تشريع الجهاد وما بين إكراه الناس على الإسلام فإن تشريع الجهاد لم يكن لهذا، وإنما كان لحكم سامية، وأغراض شريفة.

وهذه الدعوى الباطلة كثيرًا ما يرددها المستشرقون، لكن أن يرددها من ينسبون إلى الإسلام، بل من يتكلمون باسم الدين، مثل أحمد شلبي فهذا أمر غاية في التشتت.

وقد فطن لسخف هذا الادعاء كاتب غربي كبير هو: توماس كارليل صاحب كتاب الأبطال وعبادة البطولة، فإنه اتخذ نبينا محمدًا ﷺ ، مثلًا لبطولة النبوة، وقال ما معناه: "إن اتهامه "أي سيدنا محمد ﷺ " بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم؛ إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس، أو يستجيبوا له، فإذا آمن به من لا يقدرون على حرب خصومهم، فقد آمنوا به طائعين مصدقين، وتعرضوا للحرب من غيرهم قبل أن يقدروا عليها"(١٨).

ويقول المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون: وهو يتحدث عن سر انتشار الإسلام في عهده ﷺ وفي عصور الفتوحات من بعده: "قد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة...، ولم ينتشر القرآن إذن بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخرًا كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل ما زاد عدد المسلمين على خمسين مليون

نفس فيها...، ولم يكن القرآن أقل انتشارًا في الصين التي لم يفتح العرب أي جزء منها قط، وقد انتشر الإسلام بعد ذلك بطريقة طبيعية لا دخل للسيف ولا القهر فيها، وإنما بإقامة العلاقات بين المسلمين، وغيرهم، وعن طريق الهجرة المنتظمة من داخل الحجاز إلى أنحاء الأرض"(١٩).

والواقع الذي يشهد به المنصفون من مؤرخي الغرب ومفكريه وعقلائه أن الإسلام لم يعتمد إطلاقًا على السيف في نشر دعوته، أو في دخول البلاد التي فتحها وأشاع فيها قيم التسامح والرحمة والإخاء. فالإسلام من خلال كل البراهين الدينية التي تنطق بها نصوصه. دين يعترف بالحرية الدينية ويكفل حرية العقيدة، ويرفض الإكراه في الدين والنصوص في ذلك كثيرة ومتنوعة.

وحقائق التاريخ تؤكد أن المسلمين لم يكرهوا أحدًا على الدخول في الإسلام، وأنهم احترموا عقائد أهل البلاد التي فتحوها، وحافظوا على أماكن عبادتهم ووفروا لها الحماية والصيانة، وفتحوا أبوابها أمام أصحابها ليمارسوا شعائرهم وعبادتهم في حرية تامة.

فالفتوحات الإسلامية لم تكن أبدًا استعمارًا، ولا احتلالًا، ولا نشرًا لعقيدة الإسلام بالإكراه بين الأمم والشعوب كما يزعم بعض الغربيين الذين عميت أعينهم عن حقائق التاريخ، فالمحققون المتدبرون للتاريخ الذي يقرؤونه قراءة صحيحة غير سطحية، ولا متعسفة قد أكدوا في أبحاثهم وشهاداتهم التاريخية أن الجيوش الإسلامية انطلقت في اتجاهات متعددة لتحقيق أهداف إنسانية، في مقدمتها: أنها أرادت كسر شوكة السلطات الطاغية والمتجبرة التي كانت تحكم تلك البلاد، وتحول بين شعوبها وبين الاستماع إلى كلمة الإسلام، ودعوة القرآن الكريم التي جاء بها محمد ﷺ لأن هذه السلطات تريد أن يبقى الناس على دينها ومذهبها، ولا يفكر أحد في اعتناق دين آخر، ما لم يأذن له كسرى، أو قيصر، أو الملك، أو الأمير فالناس في تلك الأزمان كانوا على دين ملوكهم، ولا يجرؤ أحد على تغيير دينه، فأراد المسلمون أن يردوا الأمور إلى نصابها، وأن يعيدوا للشعوب اعتبارها واختيارها، لاسيما في هذه القضية الأساسية المصيرية التي هي أعظم قضايا الوجود على الإطلاق، فدين الإنسان هو الذي يحدد هويته ويحدد غايته ومصيره ولا يوجد دين سماوي واحد فيه تطرف، لأن الله الذي نزل

التوراة على موسى عليه السلام، هو الذي أنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام هو الذي نزل القرآن على محمد ﷺ ، وما دام مصدر الأديان السماوية واحد يستحيل أن يكون دين فيه عنف، أو تطرف، وأن ما يحدث هو انجراف المتاجرين بالأديان، وتتخذ منه طريق للتكسب، وإن ما يحدث أهواء وانحراف، فالأديان ليست لشقاء الناس بل لسعادة البشرية.

ومن هنا يمكن القول: أن الحرب كانت موجهة إلى هؤلاء الملوك والأباطرة وليس الشعوب لهدف واضح هو إزالة الحواجز أمام الدعوة الجديدة؛ حتى تصل إلى الشعوب مباشرة وتتعامل معها بحرية واختيار، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، وليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة من دون خوف من جبار يقتلهم، أو يصلبهم في جذوع النخل كما كان يحدث مع الذين يحاولون تغيير عقائدهم في هذه البلاد قبل دخول الإسلام إليه.

رابعًا: إيراد بعض العلل حول معارضة قريش للنبي ﷺ:

فقد أورد أحمد شلبي سبعة علل لمعارضة قريش لدعوة الرسول ﷺ ، مع عدم ذكر أهم علة وهي العقيدة، "وكان هذا هو السبب الحقيقي لردّ دعوة النبي ﷺ من جانب قريش، لأنهم لم يعتنقوا الإسلام لتمسكهم بأصنامهم تمسكًا عقديًّا. لا لأنهم كانوا يقومون ببيعها والحرص على ثمنها"(٢٠). وهذا حسب رأي أحمد شلبي.

ويمكننا هنا مخالفة ما ذكره أحمد شلبي في أن العلة من معارضة قريش للنبي ﷺ وتركهم الأصنام ليس من باب تمسكهم بها وخوفهم من عدم التكسب من وراءها. إنما الأمر يرجع إلى الجانب العقدي، وليس الجانب المادي، فكان لتغلغل المعتقدات الوثنيَّة في حياتهم، وعقولهم، وسيطرتها على تفكيرهم أثرٌ عظيم في تصلُّبهم أمام الحقِّ، وإبائهم الانقياد والإذعان لدعوته ﷺ ، هذا فضلًا عن أنَّ طبيعة النَّفس البشريَّة حين لا تدين بدينٍ سماويّ، فإنَّها تبتعد عن التجرُّد والصَّفاء العقديّ، وتميل إلى التَّجسيم المادّيّ الحسّيّ، ولذلك أقدم عُبَّاد الأصنام على بذل نفوسهم وأموالهم، وأبنائهم دونها، وهم يشاهدون مصارع إخوانهم، وما حلَّ بهم، ولا يزيدهم ذلك إلا حبًّا لها، وتعظيمًا، ويوصي بعضهم بعضًا بالصَّبر عليها، وتحمُّل أنواع المكاره في نصرتها وعبادتها، وهم يسمعون أخبار الأمم الَّتي فُتنت بعبادتها، وما حلَّ بهم من عاجل العقوبات.

خامسًا: رواية ألفاظ أحداث السيرة النبوية بالمعنى في بعض الأحيان:

"فقد أكثر أحمد شلبي رواية ألفاظ أحداث السيرة النبوية بالمعنى، "ورواية السيرة بالمعنى لا بأس به. إلا أنه مشكَّك في سببه"[٢١]، وقد حدث ذلك من أحمد شلبي في إيراد قصة أبي جهلٍ ومطله لرجل باعه إبلًا، فاستشفع الرجل بالرسول ﷺ ، فذهب معه وأمر أبا جهلٍ بإيفاء الرجل حقه ففعل، فلما لام أبا جهلٍ ذكر لهم التالي فيما نقله ثقات أهل السير: "قال بن إسحاق حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي وكان واعية قال: قدم رجل من "إراش"[٢٢] بإبل له مكة فابتاعها منه أبو جهل فمطله بأثمانها فأقبل الإراشي حتى وقف على ناد من قريش، ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد جالس، فقال: يا معشر قريش من رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشام فإني رجل غريب بن سبيل، وقد غلبني على حقي.

قال: فقال له أهل ذلك المجلس: أترى ذلك الرجل الجالس لرسول الله ﷺ ، وهم يهزءون به لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة، اذهب إليه فإنه يؤديك عليه، فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ. فقال: يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبله وأنا رجل غريب بن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه يأخذ لي حقي منه فأشاروا لي إليك فخذ لي حقي منه يرحمك الله.

قال: انطلق إليه وقام معه رسول الله ﷺ ، فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم: اتبعه فانظر ماذا يصنع.

قال: وخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال: من هذا؟ قال: محمد فاخرج إلي. فخرج إليه وما في وجهه من رائحة قد انتقع لونه. فقال: أعط هذا الرجل حقه. قال: نعم لا تبرح حتى أعطيه الذي له. قال: فدخل فخرج إليه.

قال: ثم انصرف رسول الله ﷺ ، وقال للإراشي: الحق بشأنك فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيرًا فقد والله أخذ لي حقي. وما رواه أبو جهل عن سبب خوفه من رسول الله ﷺ.

قال: وجاء الرجل الذي بعثوا معه، فقالوا: ويحك ماذا رأيت؟ قال: عجبًا من العجب والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما معه روحه. فقال له: أعط هذا حقه. فقال: نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقه فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه. قال: ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء.

فقالوا: ويلك ما لك والله ما رأينا مثل ما صنعت قط. قال: ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب عليَّ بابي وسمعت صوته فملئت رعبًا ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلًا من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، والله لو ابيت لأكلني"[٢٣].

لكن أحمد شلبي خالف هذا تمامًا فذكر الآتي:

"لما خرجت إليه أي يقصد أبا جهل وجدت كأنه فوق رأسه قوة هائلة أرعبتني!!"[٢٤]، ولا نعرف لماذا قام أحمد شلبي بهذا التحريف العجيب؟ مع أن الإنكار وقع منه.

سادسًا: إنكار وجود البراق في قصة الإسراء والمعراج:

إيراد حادث الإسراء والمعراج، وما فيه من إنكار ركوب النبي ﷺ البراق فيه التخبط الكثير من أحمد شلبي، وذلك لاختصاصه له عدة صفحات، لكنه تقدم بأمور عجيبة وغريبة، وردّ الروايات الصحيحة بتوجيه منطقي عجيب في معظم المقامات، وتقويته ببعض النقول للأئمة القدامى والمشايخ المعاصرين التي لا تؤيد ما أراده إلا نوع من الاعتساف وليّ عنق النصوص.

فقد جاء في مقال "الإمام الباقوري فكر وسيرة: "أن فكرة الإسراء والمعراج فكرة واهية، ولا وجود في الحقيقة لما يسمى بالبراق في قصة الإسراء والمعراج"[٢٥].

وقد أتى أحمد شلبي في هذه القصة بتعليلات واهية، مع أن ركوب البراق ثبت من الأحاديث الصحيحة والحسنة الكثيرة، ومنها:

١- حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مِسْعَرٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: قُلْتُ لِحُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ: أَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: أَنْتَ تَقُولُ ذَاكَ يَا أَصْلَعُ، بِمَ تَقُولُ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: بِالقُرْآنِ. بَيْنِي وَبَيْنَكَ القُرْآنُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: مَنْ احْتَجَّ بِالقُرْآنِ فَقَدْ أَفْلَحَ. قَالَ سُفْيَانُ: يَقُولُ فَقَدْ احْتَجَّ، وَرُبَّمَا قَالَ: قَدْ فَلَجَ. فَقَالَ: [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ][٢٦]. قَالَ: أَفَتُرَاهُ صَلَّى فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: لَوْ صَلَّى فِيهِ لَكُتِبَ عَلَيْكُمْ فِيهِ الصَّلَاةُ كَمَا كُتِبَتِ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. قَالَ حُذَيْفَةُ: قَدْ أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِρ بِدَابَّةٍ طَوِيلَةِ الظَّهْرِ، مَمْدُودَةٍ. هَكَذَا خَطْوُهُ مَدُّ بَصَرِهِ، فَمَا زَايَلَا ظَهْرَ البُرَاقِ حَتَّى رَأَيَا الجَنَّةَ وَالنَّارَ وَوَعْدَ الآخِرَةِ أَجْمَعَ، ثُمَّ رَجَعَا عَوْدَهُمَا عَلَى بَدْئِهِمَا. قَالَ: وَيَتَحَدَّثُونَ أَنَّهُ رَبَطَهُ، لِمَ؟ لِيَفِرَّ مِنْهُ وَإِنَّمَا سَخَّرَهُ لَهُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ"[٢٧].

٢- أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن العباس السامي، حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك "أن النبي ﷺ أتي بالبراق ليلة أسري به مسرجًا ملجمًا ليركبه فاستصعب عليه، فقال له جبريل: ما يحملك على هذا، فو الله ما ركبك أحد أكرم على الله منه؟ قال: فارفض عرقًا"[٢٨].

حتى أنه انتهى من كلامه في الحديث عن الإسراء والمعراج بقوله: "أيّها المسلم: لم يعد هناك مجال للشّطحات والخرافات الّتي تقلّل من جلال هذا الحديث العظيم، ولا أبالغ إن قلت: إن الرسول لم يكن له معجزات سوى القرآن، وكل ما سواه يدخل في جانب المكرمات، هذا وقد سجّلت لك أدقّ الآراء؟"[٢٩].

ويمكن القول: أن هذا التخبط من أحمد شلبي في تسمية معجزات الرسول ﷺ سوى القرآن العظيم بمكرمات، وعدم الرضا بتسميتها معجزات، لأن في رأيه لم يقم النبي ﷺ بالتحدي بها، مع أنه نسي أن النبي ﷺ قد تحدى ببعض المعجزات، وكان التحدي ببعضها الآخر حُكمًا.

وبناءً على هذا الأساس: فقد جاء بإنكار سائر المعجزات النبوية ما عدا القرآن، وفي الحقيقة هذا هو نصف الإنكار الذي قام به أحمد شلبي مع أن بعض معاصريه أنكروا إنكارًا تامًّا لأنه غيَّر اسمها وأراد تخفيف أثر المعجزات المهم في الدعوة الإلهية، وأخذ الموقف ضد جمهور المسلمين في القديم والحديث.

قال الدكتور أنور الجندي: عن كتاب السيرة الذي كتبه أحمد شلبي "هذا الكتاب وضعه مؤلفه في فترة ما قبل توجهه الفكري الإسلامي النقي، وهو ما يُعَبِّرُ عنه بالأصالة الفكرية، فتقييمه للشخصيات فيه ليس على أساس الميزان الإسلامي"(٣٠).

ومع أن الدكتور أحمد شلبي يعدُّ من الباحثين الممتازين وأصحاب الأعمال الجيدة والكتابات الموفَّقة، ولكن أعماله تحتاج إلى الميزان الشرعي الصحيح، بسبب الاعتراضات على بعض الأحاديث في صحيحي البخاري ومسلم، وعلى بعض الأحداث المهمَّة التي جرت في سيرة رسول الله ﷺ الشريفة.

خاتمة

الحمد لله الذي زين قلوب أوليائه بأنوار الوفاق، وسقى أسرار أحبائه شرابًا لذيذ المذاق، وألزم قلوب الخائفين الوجَل والإشفاق، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كتب ولا في أيِّ الفريقين يساق، فإن سامح فبفضله، وإن عاقب فبعدلِه، ولا اعتراض على الملك الخلاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، خاتم أنبيائه، وسيد أصفيائه، المخصوص بالمقام المحمود، في اليوم المشهود.

أما بعد

في ضوء ما ذكرناه تبين لنا بعض النتائج المستنبطة من هذا البحث، وكذلك عرض بعض التوصيات التي نأمل تحقيقها، وهي على النحو التالي:

أولًا: النتائج:

توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

جاءت هذا الدراسة تنقد بعض ما كتبه الدكتور أحمد شلبي في اعتراضه على بعض الأحداث في السيرة النبوية، والرد على مزاعمه من خلال منهج أهل السنة والجماعة.

أن معظم نقد الباحث لما ذكره أحمد شلبي إنما جاء عن عدم تعصب لمذهب معين، إنما سلك أدلة علمية صريحة وواضحة في الرد.

ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن أحمد شلبي طعن في أعظم الكتب بعد كتاب الله تعالى (صحيحي البخاري، ومسلم)، لأنه اعترض على بعض الأحداث الصحيحة في السيرة النبوية، وهذا كان سبب من أهم الأسباب التي دفعتني إلى نقد كتاباته في السيرة النبوية.

المتأمل في كلام أحمد شلبي يجد أنه يذكر الكلام على الهامش، ولا يعطي للأحداث حقها من النقل التام، وهذا سبب من أسباب نقده أيضًا.

ثانيا: التوصيات:

من أهم الوصايا ما يلي:

١- يوصي الباحث بالاهتمام بدراسة تاريخ الشخصية دراسة جيدة، وإمعان الفكر في الشخصيات المختلف عليها عقديًا.

٢- كما يدعو الباحث المؤسسات العلمية إلى تحقيق ونشر اتجاهات العلوم الإسلامية، وذلك بتعدد وسائل النشر المقروءة والمسموعة، ودعمها بكل سبل الدعم اللازمة حتى تحقق الغاية المنشودة منها.

٣- كما يوصي الباحث بعدم الانسياق وراء الشخصيات من خلال الظاهر، بل لابد من الدراسة والتثبت في حال الشخصية حتى لا يحدث خلل في المعتقدات.

الهوامش

١- السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، ج١، ص١١، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة: السادسة، سنة (١٩٩٤م).

٢- المرجع السابق، ج١، ص١٥.

٣- روايات تاريخ الصَّحابة في ميزان الجرح والتعديل، د. عبد العزيز خان، ص١٢، الناشر: مكتبة النهضة العلمية، القاهرة، الطبعة: الأولى، سنة (١٩٨٢م).

٤- المجتمع المدني في عهد النبوة، أكرم ضياء العمري، ص٢٧، الناشر: المجلس العلمي، دار إحياء التراث العلمي، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، سنة (١٩٨٣م).

٥- المختصر في علم التاريخ، محيي الدين الكافيجي، ص٣٣٦، تحقيق: محمد كمال الدين، الناشر، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: لبنان، الطبعة: الأولى، بدون تاريخ.

٦- أبو حنيفة الدينوري (٢٨١هـ،٨٩٤ م)، أحمد بن داود، ويكنى بأبي حنيفة، ويُسمّى أيضًا عبد الله بن علي العشاب. ولد الدينوري في دينور بإقليم همدان، وعاش في القرن الثالث للهجرة (التاسع الميلادي). من علماء المسلمين الذين أحبوا الرحلات؛ حيث زار كثيرًا من بلاد العرب مثل: المدينة المنورة، وبغداد وفلسطين. عُرف الدينوري بتفوقه في علم النبات؛ حيث أسسه على التجربة والاستنتاج، وقضى حياته في البحث والتأليف والتعليم، ودرس تربة بلاد العرب والطريقة العلمية لزراعة النباتات المهمة وهو أول من ألف في الفلورا العربية، ألف الدينوري كتابًا في علم النبات في ستة مجلدات على هيئة موسوعة مفصلة بعنوان: كتاب النبات والشجر، جمع فيه ملاحظاته الشخصية بعد معاينة النباتات في مواطنها، فاقتصر الكتاب على نباتات بلاد العرب والنباتات الأجنبية التي تأقلمت فيها. فكان الدينوري بحق أول المؤلفين العرب في علم النبات. وبالإضافة إلى هذا الكتاب، له عدة مؤلفات في العلوم الأخرى تزيد على العشرين كتابًا. ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ج١٣، ص٤٢٢، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، سنة (١٤٠٥هـ -١٩٨٥م).

٧- خليفة العصفري (٢٤٠ هـ -٨٥٤ م) خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، أبو عمرو، ويعرف بشباب: محدث نسابة إخباري، صنف في التاريخ عشرة أجزاء، طبع جزء منه. وصنف كتاب الطبقات، ثمانية أجزاء، طبع جزء منه، وكان مستقيم الحديث، من متيقظي رواته. ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، ج٣، ص٢٢١، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت: لبنان، الطبعة: الخامسة عشر، سنة (٢٠٠٢م).

٨- ابن جَرير الطَّبَري (٢٢٤ -٣١٠ هـ -٨٣٩ -٩٢٣ م) أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها، وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى، وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق، وكان مجتهدًا في أحكام الدين لا يقلد أحدًا، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه، وكان أسمر أعين نحيف الجسم فصيحًا. ينظر: تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، ج٢، ٣٥١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، الطبعة: الأولى، سنة (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

٩- منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد بن صامل السلمي، ص٤٢١، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية، السعودية، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٩هـ).

١٠- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الدكتور أحمد شلبي، ص٤، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية عشر، سنة (١٩٨٧م).

١١- أعلام السيرة النبوية في القرن الثاني للهجرة، فاروق بن محمود بن حسن حمادة، ص٩: ١٠، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ندوة العناية بالسنة والسيرة، سنة (٢٠٠٤).

١٢- السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، ج٢، ص٤٠٥.

١٣- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد اليعمري، ج١، ص١٦، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، ومحي الدين ميتو، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، سوريا، بدون نشر.

١٤- حليمة بنت أبي ذؤيب بن عبد الله بن الحارث بن شجنه بن جابر بن رزام بن ناصرة بن فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي الدمشقي، ج٢، ص٢٧١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، سنة (١٩٩٨م).

١٥- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، الصحيح، ج٣، ص١٧٨، رقم الحديث: ٦٤٤١، وهذا حديث صحيح على شرط مسلم.

١٦- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ)، ج١٤، ص٢٤٣، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، سنة (١٤٠٨هـ -١٩٨٨م).

١٧- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الدكتور أحمد شلبي، ج١، ص١٩١.

١٨- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، ص٢٢٧، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، الطبعة: الرابعة، سنة (٢٠٠٥م).

١٩- حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص١٢٨: ١٢٩، ترجمة: عادل زعيتر، الناشر: مؤسسة هنداوي، سنة (٢٠١٣م).

٢٠- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الدكتور أحمد شلبي، ج١، ص٢١٩.

٢١- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد اليعمري، ج١، ص١٤٦.

٢٢- يقال الإراش: وسمي إرشا لأنه من أسباب النزاع، يقال أرشت بين القوم إذا أوقعت بينهم، وقيل أصل الأرش الخدش. ينظر: لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ج١، ص٨٧، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، سنة (٢٠٠٣م).

٢٣- السيرة النبوية، ابن هشام، ج٢، ص٢٧، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت: سنة (٢٠٠١م)

٢٤- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الدكتور أحمد شلبي، ج١، ص٢٣٤.

٢٥- الإمام الباقوري فكر وسيرة، الدكتور أحمد شلبي، العدد ١، ص١٥: ٢٤، مقال: نشر في مجلة الزهراء، القاهرة، سنة (١٩٨٧م).

٢٦- سورة الإسراء، الآية (١).

٢٧- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، ج٥، ص٣٠٧، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، سنة (١٣٩٥هـ -١٩٧٥م). وقال حديث حسن صحيح.

٢٨- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، ج٢، ص٣٩٦، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى، سنة (١٤٠٨هـ -١٩٨٨م). وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

٢٩- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج١، ص٢٩٠: ٢٩١.

٣٠- مفكرون وأدباء من خلال آثارهم، أنور الجندي، ص٦٦، الناشر: دار الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: لبنان، الطبعة: الأولى، سنة (١٩٦٩م).